الرسالة

(أعمال الرسل ٢٠: ١٦–١٨، ٢٨–٣٦)

في تلك الأيام ارتأى بولسُ أن يتجاوزَ أفسس في البحر لئلاّ يعرض له أن يُبطئ في آسية، لأنه كان يعجلُ حتى يكون في أورشليمَ يومَ العنصرة إن أمكنه* فمن ميليتُسَ بعثَ إلى أفسسَ فاستدعى قُسوسَ الكنيسة* فلمّا وصلوا إليه قال لهم* احذروا لأنفُسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروحُ القدس فيها أساقفةً لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمِه* فإني أعلم هذا أنّه سيدخل بينكم بعد ذهابي ذئابٌ خاطِفة لا تُشفق على الرعية* ومنكم أنفُسِكم سيقوم رجالٌ يتكلّمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذَ وراءهم* لذلك اسهروا متذكّرين أنّي مدّة ثلاث سنينَ لم أكفُف ليلاً نهاراً أن أنْصحَ كلَّ واحدٍ بدموع* والآن أستودعكم يا إخوتي الله وكلمة نعمتِه القادرة أن تبنيَكم وتمنحكم ميراثاً مع جميع القدّيسين* إني لم أشتهِ فِضّةَ أو ذهبَ أو لباسَ أحدٍ* وأنتم تعلمون أنّ

آباء المجمع المسكونيّ الأوّل

نعيّد في هذا الأحد لتذكار الآباء القدّيسين الملتئمين في مدينة نيقية بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الكبير المعادل الرسل، الذين شهدوا، بسيرتهم الشريفة وتعليمهم الملهَم من الله، أنّ المسيحَ، كلمةَ الله وابنَه الوحيد، هو من جوهر الآب ومن طبيعته، وأنّه مساوٍ له في الأزليّة وعدم البداءة، رغم كونه مولودًا من مريم العذراء في آخر الأزمنة.

يخبرنا تاريخ الكنيسة أنّ الكاهن المتحدّر من ليبيا، والمدعو آريوس، تمكّن، بسبب ثقافته الفلسفيّة الراسخة ومعرفته لعلوم عصره، من تحدّي إيمان الكنيسة وخبرتها في الإستنارة بنعمة ربّنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد. قد أدّى نشاط آريوس «البشاريّ» في شمال أفريقيا إلى زعزعة إيمان الكثيرين، لا سيّما الكهنة والمثقّفين في تلك النواحي، كونه صاغ تعليمه بما يوافق منطق الناس وحكمة ذلك العصر.

لم يكن آريوس لاهوتيًّا بل كان فيلسوفًا. والفرق الأساس بين اللاهوت والفلسفة أنّ الفلسفة تكتفي بالتنظير الفكريّ وبترتيب الأفكار وفحصها بناءً على منهجيّات منطقيّة محدّدة وعلى مذاهب نظريّة. هي تسعى من خلال التفكّر والتأمّل في حياة الناس والطبيعة إلى الإجابة عن الأسئلة الأعمق في الوجود والتاريخ وما وراء التاريخ. أمّا اللاهوت، وهو علم العلوم وفنّ الفنون، فيقوم على خبرة تسلّم عقائد الإيمان من كلمات الإنجيل المحمولة في عيش الكنيسة للأسرار الإلهيّة وفي استنارتها بنعمة الروح القدس الذي طالما قاد رسل المسيح وأجيال القدّيسين والمؤمنين إلى «جميع الحقّ» (يو ١٦: ١٣) وإلى استقامة الرأي والمعتقد والعيش.

لقد أكّد لنا أبو الكنيسة ومعلّم المسكونة، القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ، في القرن الرابع، أنّنا نتكلّم على الحقائق اللاهوتيّة «صيّاديًّا لا أرسطوطاليسيًّا» أي ببساطة تلاميذ المسيح الصيّادين الذين عرفوا السيّد واستناروا بحضوره وبكلامه وبروحه القدّوس

العدد ٢٠١٩/٢٣

الأحد ٩ حزيران

أحد آباء المجمع المسكوني الأول

تذكار القديس كيرللّس

رئيس أساقفة الإسكندرية

اللحن السادس

إنجيل السَحَر العاشر

الذي حلّ عليهم يوم العنصرة وجعل منهم صيّادي الناس.

هذه الخبرة في معرفة المسيح والإستنارة بتعليمه من خلال الإنفتاح على الروح القدس، تبدأ حين يعقد الإنسان العزم على حمل الصليب واتّباع المخلّص. تبدأ بالتوبة التي هي تخشّع عميق يشمل الإنسان بكلّيّته فيقوده بشوق إلى تقصّي وصايا الإنجيل والسعي الحثيث لاستقراء مشيئة الله في ظروف حياته وواقعه اليوميّ.

يتلمّس الإنسان قربَ الربّ وعمقَ محبّته، ويستشعر في عمق كيانه رحمة الله وقوّة تعزيته، وما التعزية إلّا حضور للروح القدس «الملك السماويّ المعزّي» الذي يفتقد المؤمنين، مثلما افتقد تلاميذَ المخلّص في اليوم الخمسين. التعزية الإلهيّة الآتية من فوق تبدّل الإنسان وتمنحه القوّة على تبديل ما فيه من أهواء معابة ومن خطايا وزلّات ونزوع إلى الشرّ.

بقوّة المعزّي، يكسر الإنسان قيود الخطايا التي تحول دون تمكّنه من ولوج عمق المعرفة الإلهيّة. هذا الإنعتاق يُفعم قلب الإنسان شكرانًا وحمدًا وتمجيدًا لمن أعطاه أن يصير، بالتوبة، ابنًا لله «بالروح والحقّ».

هذا التقدّم في التوبة يؤدّي بالمرء إلى تواضع حقيقيّ، إلى إفراغ كامل للنَّفس أمام مجد الله وجلال كنيسته. تواضع الإنسان يجتذب مواهب الروح القدس التي تزيّن حياته فيتكلّم ويعلّم إلهيًّا، يصير فكرُه فكرَ المسيح وكلامُه كلامَ الكنيسة وعقيدتها وتعليمها المحيي. يصير أبًا قدّيسًا للكنيسة وللمؤمنين، مرشدًا إلى طريق الخلاص.

مَن يبلغ كمال التوبة يصير ضمير الكنيسة الحيّ والمنذر بمشيئة الله وأحكامه: «لأنّك أحببت الحقّ وأوضحت لي غوامض حكمتك ومستوراتها» (مز ٥٠). يتكلّم هذا الإنسان بحكمة ليست من هذا العالم ويبني إخوته بتعليم خلاصيّ يثبّت إيمانهم ويزكّي محبّتهم النقيّة لله.

إن استغرق التائب أكثر فأكثر في محبّة المسيح، يصير سراجًا منيرًا ومقدّسًا تضعه الكنيسة «على المنارة ليضيء لجميع الجالسين في البيت» (مت ٥: ١٥).

بهذه الدالّة تقاطر مصافّ الآباء القدّيسين من أقاصي المسكونة، وتكلّموا كما يليق بالله، وتصدّوا لآريوس وجهله الروحيّ، وسلّمونا دستور الإيمان وحقيقة الخلاص والتقديس بربّنا وإلهنا يسوع المسيح الذي رضع اللّبن من مريم العذراء وهو إلهنا قبل الدهور.

القدّيس كيرللّس الإسكندريّ

تعيّد كنيستنا المقدّسة في التاسع من حزيران للقدّيس كيرللّس بطريرك الإسكندريّة. ولد قدّيسنا حوالى العام ٣٧٥م. في مدينة الإسكندريّة. هو ابن أخت القدّيس ثيوفيلوس بطريرك الإسكندريّة. تتلمذ منذ طفوليّته على خاله البطريرك المؤمن الورع، وكان يشارك في حلقات التعليم الدينيّ التي كان يقيمها الكهنة لتعليم المؤمنين والموعوظين. أيضًا، تتلمذ في مدرسة الإسكندريّة اللاهوتيّة على ديديموس الضرير. عندما كان في العشرين من عمره، أحسّ بالشوق نحو الوحدة، فأمضى خمس سنوات في برّيّة «شيهيت». هناك، تتلمذ على الشيخ سيرابيون تلميذ القدّيس مكاريوس حاجاتي وحاجات الذين معي خَدَمْتها هاتانِ اليدان* في كلّ شيءٍ بيّنتُ لكم أنّه هكذا ينبغي أن نتعبَ لنساعد الضعفاء وأن نتذكّر كلامَ الربّ يسوع. فإنّه قال إنّ العطاءَ هو مغبوطٌ أكثر من الأخذ* ولمّا قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلّى.

الإنجيل

(يوحنا ١٧: ١-١٣)

في ذلك الزمان رفع يسوعُ عينيهِ إلى السّماء وقال يا أبتِ قد أتتِ الساعةُ. مّجدِ ابنك ليمجّدك ابنُك أيضًا* كما أعطيتَهُ سلطانًا على كلّ بشر ليُعطيَ كلَّ من أعطَيتَهُ له حياةً أبديّة* وهذه هي الحياةُ الأبديّةُ أن يعرفوك أنتَ الإلهَ الحقيقيّ والذي أرسلتَهُ يسوعَ المسيح* أنا قد مجّدتُك على الأرض. قد أتممتُ العملَ الذي أعطيتَني لأعملَهُ* والآن مجّدني أنت يا أبتِ عندك بالمجدِ الذي كان لي عندَك من قبلِ كونِ العالَم* قد أعلنتُ اسمَك للناسِ الذين أعطيتَهم لي من العالَم. هم كانوا لك وأنت أعطيتَهم لي وقد حفِظوا كلامك* والآن قد علِموا أنّ كلّ ما أعطيتَهُ لي هو منك* لأنّ الكلامَ الذي أعطيتَهُ لي أعطيتُهُ

لهم. وهم قبلوا وعلموا حقّاً أنّي منكَ خرجتُ وآمنوا أنّك أرسلتني* أنا من أجلهم أسأل. لا أسألُ من أجلِ العالم بل منْ أجل الذين أعطيتَهم لي. لأنّهم لك* كلُّ شيءٍ لي هو لك وكلُّ شيءٍ لكَ هو لي وأنا قد مُجّدتُ فيهم* ولستُ أنا بعدُ في العالم وهؤلاء هم في العالم. وأنا آتي إليك. أيّها الآبُ القدّوس احفَظهم باسمِك الذين أعطيتَهم لي ليكونوا واحدًا كما نحن* حين كنتُ معهم في العالم كنت أحفظُهم باسمك. إنّ الذين أعطيتَهم لي قد حفِظتُهم ولم يهلِك منهم أحدٌ إلاّ ابنُ الهلاكِ ليتمّ الكتابُ* أمّا الآن فإنّي آتي إليك. وأنا أتكلّمُ بهذا في العالمِ ليكونَ فرحي كاملاً فيهم.

تأمل

«إن العطاء هو مغبوط أكثر من الأخذ».

كلّ زلّةٍ مرتَكَبةٍ على هذا المقرّ الأرضيّ إنّما تُمحى بالصدقات. فالصدقات هي أعمال محبّة، ونحن نعلم أنّ «المحبّة تستر جمًّا من الخطايا» (١ بط ٤: ٨).

الصدقة ربحٌ لا خسارة، والخبز المعطى يحصّل بالمقابل الحياة الأبديّة، ومجرّد كساءٍ معطى يتحوّل إلى ثوب خلود. كلّ امرئ إنما يعطي نفسه ما قد منحه هو نفسه للفقراء.

الكبير، وتبحّر في الكتاب المقدّس ودراسة عهديه.

عُرفت عن القدّيس كيرللّس مقدرته على حفظ الكتب المقدّسة غيبًا، إذ كان يحفظ النصوص الإلهيّة بمجرّد قراءتها مرّةً واحدة. كان يقضي اللّيل ساهرًا يحفظ الكتاب المقدّس لكي يتلو صباحًا كلّ ما حفظه أمام أبيه الروحيّ.

إستدعاه خاله البطريرك ثيوفيلوس، وسامه شمّاسًا، وطلب منه أن يرافقه على الدوام. أُوكِلَتْ إليه مهمّة شرح الكتب المقدّسة والوعظ في مدينة الإسكندريّة. سنة ٤٠٣، أخذه البطريرك ثيوفيلوس معه إلى القسطنطينيّة حيث اشترك في أعمال المجمع الذي عُقد هناك. عام ٤٠٥، سيم كاهنًا وتابع مهمّة الوعظ والتعليم، مفسّرًا الكتب المقدّسة وموضحًا، من خلالها، التعليم المستقيم الرأي في مواجهة الهرطقات التي كانت تتكاثر في الإسكندريّة. لم تكن تعاليم القدّيس سوى خلاصة عمّا قرأه عند كبار الآباء القدّيسين من أثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس. أضاف قدّيسنا على ما ذُكِر تفاسير كتابيّة تتماشى مع روحيّة هؤلاء القدّيسين العظماء ولاهوتهم.

إثر رقاد القدّيس ثيوفيلوس، في ١٥ تشرين الأوّل ٤١٢، توجّهت الأنظار نحو ابن شقيقته العلاّمة، والكاهن الأمين لتقاليد الآباء وتعاليمهم. رغم معارضة السلطات الزمنيّة لهذا الإنتخاب، أيقن أساقفة الإسكندريّة وكهنتها أنّ كيرللّس هو الخلف الأمين، فتمّ انتخابه بطريركًا وهو في الثامنة والثلاثين من عمره.

واصل البطريرك كيرللّس جهاده في تعليم المؤمنين بالوعظ وتفسير الكتب المقدّسة. كان هاجسه حماية قطيع المؤمنين الذي ائتمنه الله عليه من براثن كتابات الوثنيّين والهراطقة وتعاليمهم.

بدأ القدّيس كيرللّس، مع العام ٤٢٨، يظهر كعلامة بارزة ورأس حربةٍ في صون العقيدة المستقيمة الرأي. غيرتُه على الإيمان شابهت غيرة النبيّ إيليّا، فما كان يساوم على الإيمان حتّى ولو كان ذلك يُزعزع علاقته بكبار المسؤولين أو بالإمبراطور نفسه. هذا الأمر وضعه في مواجهةٍ قاسية مع نسطوريوس الذي تبوّأ الكرسيّ البطريركيّ القسطنطينيّ. فنّد قدّيسنا تعاليم نسطوريوس المُضِلّة وواجهه بشدّة، لينتصر، بقرارٍ من المجمع المسكونيّ، تعليم الكنيسة القويم المتوافق مع ما سلّمنا إياه للآباء القديسون بإلهام الروح القدس.

كان نسطوريوس يؤكّد في تعاليمه أنّ ثمّة شخصين في المسيح، لكنّ القدّيس كيرللّس رفض هذا القول. إدّعى نسطوريوس أنّ المسيح شخصان: «اللوغوس» أي «الكلمة» وهو الإله، و«يسوع» الذي هو الإنسان المولود من مريم العذراء. هذا التعليم دفع نسطوريوس إلى القول بأنّه لا يمكننا تسمية العذراء «والدة الإله» لأنّها لم تلد الكلمة الإلهيّ بل الإنسان المنفصل عن الإله. ردّ القدّيس كيرللّس على هذه التعاليم في عدّة رسائل قاسية اللهجة. قسوته هذه دلّت على الغيرة والأمانة اللتين تحلّى بهما هذا القدّيس العظيم. تعاظم الخلاف بينهما ممّا أدّى إلى انعقاد المجمع المسكونيّ الثالث في أفسس عام ٤٣١ والذي دعا إليه البطريرك ثاوذوسيوس. بعد مداولات ومباحثات كثيرة، وبعد دراسة

تعاليم المتنازَعين كليهما، حكم المجمع بعزل نسطوريوس وحرمانه، لوقوعه في الضلال الإيمانيّ وإصراره على معتقداته في مواجهة التعليم القويم. ثبّت المجمع الحرومات (الأناثيما) الإثني عشر التي رفعها القدّيس كيرللّس في مواجهة خصمه. كما أكّد الآباء القدّيسون، مع القدّيس كيرللّس، أنّ مريم هي والدة الإله بالحقيقة، وعلى الكنيسة أن تستمرّ في مناداتها مثلما نادتها خلال القرون المسيحيّة الأولى.

لم تخلُ المواجهة من المتاعب والصعاب، إذ تعرّض القدّيس للسجن عدّة أشهر أثناء وجوده في أفسس. لكنّ هذه الصعاب تلاشت أمام الإستقبال المهيب الذي تلقّاه إثر عودته إلى الإسكندريّة. صار القدّيس كيرللّس، للمؤمنين، «عمودًا» للإيمان القويم على غرار القدّيس أثناسيوس الكبير الذي سبقه على كرسيّ الإسكندريّة.

بعد هذا الكفاح الطويل، رقد القدّيس كيرللّس بالربّ عام ٤٤٤، مقدّمًا له كنيسةً نقيّةً من كلّ الشوائب والتعاليم غير المستقيمة، وهو لا يزال حتّى اليوم أحد أعظم رموز الإيمان القويم، وقد ترك للكنيسة مجلّداتٍ من التعاليم الأرثوذكسيّة القويمة، وغيرها من تفسيرات للكتب الإلهيّة المقدّسة.

في طبيعتَي المسيح

لكي يُثبت الربّ حقيقة الطبيعة البشريّة التي اتّخذها، حزن حقًّا (مت ٢٦: ٣٨). لكن، لئلاّ يستحوذ الألم على نفسه، شرع يحزن بداعي مرحلة ما قبل الآلام، لا سيّما أنّ الحزن شيء والشروع في الحزن شيء آخر. فقد حزن لا خوفاً من الألم البتّة، هو الذي كان قد أتى بالضبط ليتألم، ولام بطرس على مخاوفه، بل بسبب الشقاوة القصوى لدى يهوذا، وتشكُّكِ رسله كافّة، ورفضِ الشعب اليهوديّ، ودمار أورشليم الشقيّة. إنّها نفسه التي حزنت، وهو لم يحزن خوفاً من الموت، بل «حتى الموت»، حتى ينقذ الرسل بآلامه. عندما قال: «أمكثوا هنا واسهروا معي»، لم يحظّر عليهم نعاساً في غير أوانه عند دنوّ الخطر، بل نعاسَ الشكّ والغفلةِ الروحيّة. ثمّ، عند سقوطه على وجهه (٢٦: ٣٩)، مُظهراً بوضعيّة جسده تواضع نفسه، قال بمودّة: «يا أبتِ، إن أمكن، فلتعبر عنّي هذه الكأس! ولكن ليس ما أريد أنا، بل ما تريد أنت»، طالباً ذلك لا خوفاً من الألم، بل إشفاقاً منه على الشعب الذي كان خاصّته، لكيلا يكون عليه شربُ الكأس التي يقدّمونها له. لذلك تعمّد القول لا «أن تعبر عنّي الكأس»، بل «هذه الكأس»، أي كأس الشعب اليهودي، الذي لا يمكنه الاعتذار عن جهله إن أهلكني، بما أنّ لديه الناموس والأنبياء الذين يتنبأون عنّي كلّ يوم. مع ذلك، فإنّ ما رفضه مرتاعاً كإنسان، إذ فرغ إلى نفسه، قَبِلَ به كإلهٍ وابنِ الله.

القديس إيرونيموس

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

لا نخشينّ تبديد مواردنا عبر نفقات الرحمة، لأنّ الصلاح نفسه ثروةٌ عظيمةٌ ولأنّ الكرم لا يمكن أن تنقصه الوسائل حيث يكون المسيح المغذّي والمغذّى، إذ في هذا العمل كلّه تتدخّل تلك اليد التي تزيد الخبز في كسره وتكثّره في توزيعه (يو ٦: ١-١٣). وعليه، فليكن المتصدّق مطمئنًّا وفرحًا (٢ كو ٩: ٧).

إن الله الذي لا يحتاج عونًا لمزاولة رحمته، قد نظّم مزاولة قدرته الكلّية بحيث تُغيث هذه البشَر في مشقّاتهم بواسطة البشر. لذلك يُشكر الله على إعانات الإحسان بحقّ، إذ إنّها أعماله هو التي تظهر في خدّامه.

فليرحموا الفقراء، أولئك الذين يودّون غفران المسيح. فليسارعوا إلى إطعام المساكين، أولئك الراغبين في بلوغ جماعة المغبوطين. لقد شاء آباؤنا أن تنتصب العبادة المؤدّاة لله من خلال التقدمة الجزيلة القداسة التي لصدقاتنا في وجه أضاحي الملحدين النجسة، وإذ باتت هذه الممارسة من أكثر الممارسات نفعاً لنموّ الكنيسة، بدا حسناً أن يُجعل منها أساسًا بين الأسس.

القديس لاون الكبير